أبجديّة الموت والثورة

أحمد عنتر مصطفى

(أ)

.. التحياتُ لله..؛
والموتُ للآدميِّ الذي حين يركلهُ الجندُ
لا يُخْفِضُ الرأسَ؛
يصهلُ..
كالمهرةِ الجامحةْ..
والصلاةُ السلامُ على جثثِ الشهداءِ
التي تتحللُ في باطنِ الأرضِ..؛
تصبحُ نفطاً..؛
إذا بيعَ تغدو دراهمَ..؛
تُنثرُ فوق العروس وفي حفلات
الختانْ..
وأشهدُ أن لا إله سوى الخبزِ..؛
يزهدُه الأغنياءُ..؛
يقيمُ له الفقراءُ طقوسَ العرقْ..
يُقيمون به.. وعليه..؛
يبيعون أيامَهم باستدارتهِ القمريةِ..؛
حين يجيءُ الغسقْ
يدخلون كهوف القناعةِ والحلمِ؛
تخبو المصابيحُ.. تلهثُ..؛
تنفثُ من رئتيْها الدخانْ..
يصبغُ الحائطَ المتهالكَ بالحلكةِ الطافحهْ..
يرتمون على سُرُرٍ من جريدٍ..؛
وسائدُها من أرقْ..
يغلبُ القهرُ بالنوم أعناقَهم..
يشحذُ الموتُ سكينَهُ الذابحهْ..

* * *

(ب)

بامتدادِ الخرافةِ والحزنِ ينحدرُ النهرُ..
كنا على شاطئيه عرايا..
صِبْيَةً نتأرجحُ في أَفْرُعِ الشجرِ المتشابكِ..؛
نسبحُ..؛
نَعْرِضُ أعضاءنا حين تُقْدِمُ سيدةٌ أو فتاةٌ؛
ونضحكُ..؛
نلمحُ في مقلتيْها انكساراً؛ وفي الوجه حمرةَ
خدْينِ.. [.. لم ندرك السرَّ.!!.]..
كان الصبايا..
يَرُحْنَ.. يجئن.. تجففنا الشمسُ..؛
والظلُ يمشطُ خصلاتنا..؛
والمياهُ مرايا...
[.. مرَّةً جرفتنا الجسارةْ..
فاستبقنا مع الموج والريح..
نُبدي فنونَ المهارهْ..
كان يوسفُ فينا..؛
ولم يكُ عند المتاعْ..
وأحزانُنا أربعةْ..
.. حين عدنا الى الشاطئِ المتجعّد نبكي..
وكنا ثلاثةْ..
لم نعدْ بالثيابِ الى أمه الأرملةْ..

وانتظرنا الظلامَ لندخلَ غرفتنا خِلْسةً..؛
ونشدَّ علينا الغِطاءْ
ندَّعي النومَ بالأعينِ المقفلهْ..
كانت الشمسُ في ذلك اليومِ يلهثُ
فيها الشعاعْ..
ويسقط عند الأصيلِ على حافةِ النهرِ...
.. كانت دما..
والمساءْ..
يجلُّ على الشطِ حزناً..
يحدِّقُ في كوْمةٍ من ثيابْ..
يمرُ عليها تِباعاً..؛
يحكُّ بها أنفَهُ المتأففَ
بعضُ الكلابْ..]

.....

.....

أيها النهرُ.. يا جثةَ الزمنِ المترقرقِ
كيف انطوتْ فيك هذي البكارهْ؟
ما الذي ذوَّبَ الآنَ فيكَ المرارهْ؛
يجتبيك المماليكُ عصراً؛
ودهراً يَجزُّ وريدَكَ سيفُ الغزاةِ..؛
ونلقى بأفلاذ أكبادنا الناهداتِ
العرائسِ فيكَ هدايا..
نحن مِتنا على شاطئيْك..؛
وكنا دموعَ القرابينِ..؛
لم نَجْنِ منكَ سوى الداءِ؛ والمرضِ
المتوطِّنِ.. كنّا حجارهْ..
لمن يبتنون القصورَ على ضفتيكَ..؛
وكنا ضحايا..
كيف يمضي الزمانُ..
وتبزغُ فينا الحضارهْ
والروحُ في الآدميِّ
تناثر فيها الإباءُ
شظايا؟

★ ★ ★

(ج)

جامعو الصدقاتِ القليلهْ..
حاصروني صباحاً..
فأخرجتُ جيبي لهم ضاحكا..
حاصروني بإلحاحهم.. والعيونْ
(آهِ.. تلك العيونِ التي مدَّ في قاعها
الحزنُ ظلاً... وأهدابها عنكبوتْ..)
كان شيءٌ يموتْ..
والوطنُ المترنحُ في حلقاتِ الجنونْ..
فاقدٌ نخواتِ الرجولهْ
لا يرى كيف تُقعِي على الأرضِ أشلاؤه
تملأ الطرقاتْ..
صياحاً عن الشفراتِ؛ وعن صور اللاعبين؛
والسبعِ آياتِ...؛
والمصحف المتداولِ في العرباتْ..
والوطنُ المنأرجحُ في خصلاتِ المنونْ
ليس يحضن كالطيرِ أفراخَهُ...
ليس يرعى الطفوله!.
جامعو الصدقاتِ القليلةْ..
حاصروني بإلحاحهم.. والجفونْ..
(آهِ..
تلك الجفونِ التي تتدلى غداً وابلاً
شائكاً..)
صحتُ:
يا وطني..
كم تكونُ المسافةُ بين الجريمةِ والفقرِ؟؟
[ضاع الصدى..
صار دَوامةً جذبتني الى قاع تلك العيونْ..
حيث أبصرتُ فيها قتيلاً وقاتلْ..
ولصاً تعضُّ على معصميه السلاسلْ..
وشيئاً..؛
أظنُ هو الوطنُ المستكينُ..
تخبط في دمه هالكاً!!]

.....

.....

.....

جامعو الصدقاتِ القليلهْ
حاصروني بإلحاحهم في الصباحِ ..؛
تدفّق سيلُ الدعاءْ ..
تعثّرتُ في الدعواتِ الطويلهْ
حدثوني عن الله ..؛
عن جنةِ الأتقياءْ ..
صحتُ:
يا أيها البسطاءْ ..
ضيّعتكم دروبُ المنى المستحيلهْ
فالجنةُ الآن في الأرضِ ..
للأغنياءْ ..
ومن يدمنون الرذيلهْ ..
وغداً ..
في السماءْ ..
سوف يدخلها القادرون
على رشوةِ الوزراءْ
ومن يملكون البطاقاتِ والتوصياتِ
من الطبقاتِ النبيلهْ!!!

(د)

دائماً تُطلقين الأناشيدَ خلفي؛
والزهورَ أمامي؛
تُطوِّقُ صورتي الشاحبهْ ..
تذكرينَ .. وكنتُ أدبُّ على أرضك اللاهبهْ ..
لم تمدّي يديْكِ الى جبهتي
تمسحين التعبْ ..
تذكرينَ .. وأنت بلادي
تمدّين فوقي هجيرا
وتحتي سعيرا
وحولي يحلّق حتفي ..
صِرتُ في كفِّ أمي المسنةِ تذكرةً ..
تتخطى بها عقبات الزمانْ ..

تصرفُ- لو أظهرت جُرحَها المختفي بينها-
السلعَ الغائبهْ ..
لحظةً ..
تكرمين بها جسدي ..
ثم تنفلتين الى غابة اللهوِ والنسيانْ
يسخرُ منها الموظفُ حيناً ..
وحيناً يُشيحُ لها بعيونٍ
تفحُ اللهبْ!!

.....

.....

كان فرحي بلاداً من الحلمِ شاسعةً؛
وطوتها خيولُ التوهمِ؛
أيتها الحربُ أنتِ خلقتِ الأماني ..
أنتِ أنجبتِ لي موسماً من خيالٍ خصيبٍ
روته الأغاني ..
إنهم يجتنون ثمارَ الدمِ المتخثرِ في أرضِ سيناءْ ..
يا أميَ النادبهْ ..
للمي كلَّ أشلائنا .. واضربي الوطنَ المتمزّقَ ..
قد ينتخي فيه حسُّ الغضب!!
لم تزلْ نسوةٌ تتقلّدُ جُرْحي على صدرها ..؛
دمي يتأرجحُ في ناهديها عقودا ..؛
وعيني لها دُرَّةٌ من جُمانْ ..
والعشيقُ ترامى على قدميها ..
يُريقُ الدنانيرَ والنفطَ ..
واكبرياءَ العربْ!!

.....

.....

في الحرب يشتبكُ اللونُ باللونِ ..
لكنَّ وجهَكَ أخضرْ
أيها الوطنُ المتناثرُ في الأبجديهْ
والنبراتِ الخفيضةِ في صلواتِ أبي ..؛
والدعاءِ الذي لا يجفُ على ثغرِ أمي ..؛
والسريرِ الصغيرِ ،ولثغِ أخي ؛والتخفي ..

فجأةً.. إن كسرنا الزجاجَ..
ولهفتنا للحكايا وجن سليمانَ..
في كل ليلةِ صيفِ..
أيها الوطنُ المتناثرُ بين حقائبنا المدرسية..
والخرائطِ في غرفِ الدرس ؛ والشمس تنقرُ
عند الصباح النوافذَ ؛ والجارةِ المستحمةِ
تنشرُ بعضَ ملابسها الداخليهْ..
والبائعِ الباكرِ الوجه يسندُ دراجةً للجدارِ ؛
ومن فرجةِ البابِ راح يكيل اللبنْ..
والحوارِ الرشيقِ بنافذتين وعينين في حارةٍ ضيّقه
أيها الوطن المتبدّدُ بين ملامحنا.. حين
يشتبك اللون باللونِ
وجهك أخضرْ
ونصغرُ فيك... وتكبرْ..

(ي)

يلبسُ الحزنُ وجهي..؛
وينسابُ في طرقاتِ المدينهْ..
ينزفُ الصمتُ بعضَ الحروفِ الثخينهْ..
بيننا..
فنديرُ حواراً قصيراً ؛ وأهربُ منه..؛
يزاحمني في مداخلِ موتي..؛
يداهمني تحت جلدي..
[.. كنتُ أشعلُ طرفَ اللفافهْ
حين مرَّتْ أمامي النساءُ ؛
يثرثرنَ عن فتنةِ اللونِ ؛
عن صبغةِ الشعرِ ؛
يأكلن من أخرياتِ الحروفِ ؛
ويمضغن قشرَ الثقافهْ..
والرموشُ الصناعيةُ المستعارهْ
والحواجبُ قد زجّتها الصغيراتُ ؛
يا شيخنا المتنبي عليك السلامُ ؛
الشوارعُ تمضغ أبناءها ؛ وتلوك العذارى ؛
وتلفظهنَّ نساءً تسكّعن تحت عمودِ الإنارهْ
يجلسنَ في البار..
أو ينسكبنَ دماً في الدروب الحزينهْ..]
عرباتُ الـ U.N.
في طرقاتِ القاهرةِ المحتشده
والفتياتُ ضغيراتُ السنْ
ينظرن إلى أغطية الرأس اللبنيةِ
فوق رجال الأمم المتحدة!!
صحتُ:
يا وطنَ الفرحِ القَيْدِ..
والأمنياتِ السجينهْ
أين سعدُ وخالدُ؟؟
هل حفظتك الدروعُ المعارهْ؟؟
تزكمُ الأنفَ هذي الروائحُ..
والجرحُ في جسمك المستكين تقيحَّ
بالتسوياتِ الدفينهْ!.
[.. حين عرضتُ على سيف الله المسلولِ
الصورَ التذكاريهْ..
لجنودِ الأمم المتحده
في الأحياءِ الأثريهْ
أبدى دهشتهُ.. وأشار الى ركنٍ
في زاوية الصوره..
قلتُ له: هذي الأهرامات المشهوره
أما تلك الأجنادُ المتناثرةُ الأوجهِ
في صُوَرِ الألبومْ
فجنودٌ حفظوا السلمَ على خط النارْ
رضيْت عنهم كلُ الأطرافِ المعنيهْ
(.. مـــطَّ الشفتيْن لـــدى نطقي
الأطراف المعنيهْ..)
غمغم شيئاً لم أتبين منه سوى:
«أعرفُ في زرقةِ أعينهم نسلَ الرومْ
هل لك في أصداءِ حديثٍ قدسيْ
حدثني السيفُ ؛ عن الرمحِ ؛
عن القوسِ ، عن السهمِ المارق ؛

عن نيرانِ الحقِ الأزليةْ
أن التسويةَ السلميهْ
تعصفُ بالحق المهضومْ
لا تجلب للضعفاءِ سوى الذلِ والواصم..
والموصومْ.. »
يلبسُ الحزنُ وجهي..
وينسابُ في طرقاتِ المدينهْ
ينزفُ الصمتُ بعضَ الحروفِ الثخينهْ..
بيننا..
فنديرُ حواراً قصيراً..؛ وأهربُ منه؛
يزاحمني في مداخل موتي..
يداهمني تحت جلدي..
حين أذكرُ أنّا منحنا البلادَ مواعيدَ حبٍّ؛
أعدَّت لنا شعرَها المترقرقَ شلالَ
عطرٍ؛ نوافذُها غرّدتْ؛ واستدار
بها الناهدانِ.. تعرَّتْ لنا
تحت ضوءِ القمرْ
فاجأتها السياطُ.. على صدرها
في أتونِ التحدي
كانت الأرضُ تُقعي..
وحين نصيحُ بها تشرئبُ؛
تشب على طرفِ أقدامها..؛
تسمع الصوتَ منا وعوداً..
تطرّز أحلامها الزنبقيهْ..
عادت الأرضُ تبلعُ أحزانَها؛
تتقلّصُ بين الخرائطِ في ذلةٍ..؛
قفي هذه الأرضُ..؛
لا تهربي تحت أقدامي الناحلاتِ..؛
وكوني انتمائي الوحيدَ..
وجُرحيَ وحدي..

★ ★ ★

(ت)

تكتبين الرسائل؛ تطوينها للحبيب البعيدْ..
آه أرملةَ الوهمِ والشوقِ..
تنتظرين البريدْ..
تنسجينَ خيوطَ الأمانيَ؛
نجومَ الليالي..؛..
وجوربَ طفلٍ وليدْ..
والرسائلُ في غرفةِ القائدِ المتصلّب أشرعةٌ أنهكتها
الرياحُ؛ ارتمت في المرافئ؛ يقرأُها
ضابطُ الأمنِ في خلوةٍ هادئهْ..
يقيسُ الحروفَ.. وأبعادَها الناتئهْ..
هل تشفُ وتفضح أسرارَها للعدوِّ المرابطِ
خلف الحدودْ..
آهِ أرملةَ الشوقِ والوهمِ..
لا توقظي جُرحَه المستكينَ..؛
ولا تُخفضي روحَهُ المعنويةَ..؛
هل بنتُه رفضتها المدارسُ..؟
ما كلُ شيءٍ يُقالُ..
ولا ينبغي أن يُحسَّ بـه في العراءِ
الجنودْ..

★ ★ ★

(أ)

أيها الجرحُ لا تفغرْ الفمَ أكثر.. إنك تزدردُ
الفقراءْ..
إنهم يسقطون تباعاً..
وعامُ الرماده..
مدَّ أعناقَهُ وتمطَّى على الأرضِ يقتنصُ
الشرفاءْ..
واحداً واحداً يسقطونَ...؛ العيونُ التي
تشرئبُ لتستشرفَ الغدَ تُسملُ حين تعودُ لتُخبرَ
أنَّ المنابعَ آسنةٌ؛ والحروفَ- الضفادعَ فيها
تنقُّ وتقفزُ في عطنِ الكلماتِ المعادهْ..
بركةٌ زحمتها الطحالبُ حفَّتْ بها أوجهُ
الزعماءْ..
أيها الجرحُ لا تفغرْ الفمَ أكثر إنك تزدردُ
الفقراءْ..

واحداً واحداً ينفقون..؛ يبيعون أهواءهم للوحول
ضمائرهم للبلاده..
طالما اختلسوا من طيوفِ التوهمِ والكذبِ ما
يُطقبونَ
عليه الرغيفَ..؛ وحين يعودون للدار
ينكسرونَ
إذن فيم كان الهديرُ.. ولفحُ المخابزِ...؟
والعريُّ كيف وخيطُ المغازلِ يمتدُ
كالنيلِ..؟؟
كان السؤال يطنُّ.. وسيفُ أبي
ذرّ فوق الجدارِ يُسلُّ جواباً...
ولكنَّ صمتاً..... فقد أُثِرَ عن
السُّلفِ الأتقياءِ..
(طاعةُ الخلفاءِ عبادهْ!!)..
[..كان جدي يقولُ:
«العصافير تَشرب حسوةَ ماءٍ وتشدو
وتلقطُ حبةَ قمحٍ ؛ وتشدو؛ ويحملها
الريشُ عرشاً؛ وتلم عرضَ
السماءِ..
والقناعةُ كنزُ الفقير..
بها قد يتوِّج ربُ السماءِ عباده..»]
.....
.....
مات جدي وحيداً..
وفي فمه ما تهدلَّ من كلمات الزهاده..
حيث كان بنوه العظامُ بمقربةٍ منه يقتسمون
بقاياه..
مسبحةً.. أو رداءْ..!!
أيها الجرحُ لا تفغر الفم أكثرَ..
إنك تزدردُ الفقراءْ..
إنهم جثثُ الحلم في الأرضِ..؛
أوعيةُ الدودِ في القبرِ..؛
حقلُ التجارب للربِّ..
والساسةِ الأقوياءْ..!!

★ ★ ★

(ل)

لا يزعمُ الماءُ حين تسودُ عليه الطحالبْ
أنَّ الركودَ فضيلته المزدهاةُ
يحقُ عليها الحسدْ..
كنتُ أقسم دوماً بهذا البلدْ..
رغم كلِّ الكبدْ..
رغم نبع الشقاءِ الذي يتوضأ آباؤنا منه
طيَّ الأبد..
بالعطاءِ الذي يتفجرُ منه..؛
بطاقاته اللهبيةِ..؛
بالحزن في أعين الصامتينَ..؛
وبالغزل المتواثب بين العيون..؛
برجفة ريفيةٍ زعقةُ البوق
من فارهاتِ المواكبْ..
داهمت وعيها فتناثر...
[مثل العصافير غِبَّ انهيار رصاص
المراقبْ..]
هرولتْ تلعنُ الضجةَ المستفزةَ بين العواصم..
واللفظُ في شفتيها ارتعدْ!!
.....
.....
..... كنتُ أقسم دوماً بهذا البلدْ..
بالذين مع الفجر ينحدرون الى
النهرِ..؛
ينكسرون مع الظهر؛..
ينسحبون مع القهر..؛..
خلف جدار المساءِ ويحترفون
الجَلَدْ..
بالفرح الذابل الصوتِ أقسمتُ..

بالدمع بين العيون الشواحبْ..
بالبنادق ساهرةً تشرئبُّ؛ وتحنو عليها
زنودُ المحاربْ..
حيث نام الخطيبُ على منبر الوطن المستكين
المسجّى الجسدْ..!!

.....

.....

..... كنتُ أقسم دوماً بهذا البلدْ..
بالريحِ أن سوف تأتي..؛
وبالعدلِ ان سيضمّ جناحيه يحمي
الحقيقةَ من لفحةِ الباطلِ المتوّهج يغشى العيونَ؛
وبالكلماتِ الحراب ستنقضُ في الروح ما نسجته العناكبْ
بالطفولةِ أقسمتُ..؛..
بالغد، بالبسماتِ؛..
وبالزرعِ منتشياً.. كنتُ أهمسُ:
.. «يمكثُ في الأرض ما ينفعُ الناسَ..»
.. حين رأيتُ الزبدْ..
أبنيةً في المدينةِ تعلو وتسمقُ؛..
أرصدةً في البنوكِ..؛..
حُلِّياً تصلُّ بأذرعةِ العاهراتِ..
وفي الكتفين فِراءِ ثعالبْ..!!
[.. ربما كان من عرقٍ يتصببُ في أوجهٍ
ران فيها الكمدْ!!..]

.....

.....

..... كنتُ أقسم دوماً بهذا البلدْ..
والبناياتُ تهوي..
وأقسم أن سوف تنهض..؛
حتى رأيتُ المطاراتِ غصّت بمن يهربونَ
ولا يرجعونَ..؛..
رأيتُ المناجلَ لا تحصدُ الزرعَ...؛
والضرعَ جفَّ...؛..
رأيتُ السيوفَ تثلَّم فيها الإباءُ..؛..
رأيتُ الخيولَ على ضفّةِ النهر تضوي
وتهزلُ..؛ تسقط ضامرةً فوق أعلافها..؛
ومقهورةً حين تبصرُ نجمة داوودَ في
أفقها تتّقدْ..
قلتُ..
لا شيء يجدي..
سوى الشعب ينشبُ في رئةِ
الحاكمين المخالبْ!!

★ ★ ★

(م)

[.. من يَهُنْ يسهل الهوانُ عليه..]

.....

.....

كان ابو الطيب الشيخ عند حدودِ حلبْ..
يستفزُّ الجوادَ..؛ ويستنفرُ الجندَ...
أبصر سيفَ الرجالْ
قاصداً قيصرَ الرومِ حتى يوقعَ صكَ امتهانِ العربْ
[.. ندَّت عن الأرض آهةُ عشقٍ..
ولفحُ غضبْ!!..]
كان الجوادُ بعينيه يفترعُ الأرضَ..؛
يدفنُ أشواقَه في الرمالْ..
والشاعرُ الشيخُ راح يتمتمُ في ذلةٍ
حين شدَّ الرحالْ..
وجفَّتْ على شفتيه الحروفُ..
وغام الكلامْ..:
مالجرح بميتٍ إيلامُ
مالجرحِ بميتٍ إيلامُ..

(و)

واقفاً كان يبكي على أورشليمْ..

وجهُهُ تتهللُ فيه السماحةُ؛
تنبضُ تحت الأديمْ..
خاشعاً كانَ..
والصلواتُ على شفتيه حقولٌ من الخضرةِ الناضرة..
أبصرني فارتجفْ..
رُحتُ أهمسُ:
لستُ يهوذا.. فلا تُخفتِ الضوءَ؛..
أخرج الينا بقلبكَ هذا مروجاً من الفرحةِ الغامره..
فاتني.. صاعداً ربوةً..؛
والدموعُ صلاةُ الحنين..؛
وتمتم صوتٌ رخيمْ..
« طوبى لمن يبذر السلمَ..
من يدفئُ الأرضَ في عريها..
من يدغدغُ بسمةَ طفلٍ..
وملعونةٌ لعنة كاسرة..
كل كفٍّ تمدُ الحنانَ ليدفأَ طاغٍ أثيمْ!!.. »
عيناه تختلجان..
وحلقتا طائرين.. يحطّانِ عند النوافذِ
في بيتِ لحمٍ.. وفي الناصره..

★ ★ ★

عابراً أرض سيناءَ كنتُ..؛..
وآنستُ ناراً على جانب الطور..؛
من خلل الوهج المتصاعدِ.. أبصرتُ لحيتَهُ..
كان وجهُ الكليمْ
كان يلصقُ للأذن مذياعَه المتهامسَ..؛
يُصغي.. ويرقبُ ما سوف يسفرُ عنه
معسكرُ داوود حيـــث السماءُ تضمُ الشموسا
رُحتُ أخلعُ نعليَّ..
أدنو..
فأبصرتُه يردم النارَ.. قلتْ:..
السلامَ.. فأوجس
في نفسه خيفةً... [.. ربما خالني من عساكر هامانَ..
أو جند فرعونَ.. جئتُ أطارده..!!.] السلامُ عليـ...

وأوغلَ في التيه موسى..
.. تَلَفَتُّ خلفي..
يودّعُ قلبي المكان الجليلْ..
لاح لي شبحٌ ينحني..
واستقامَ..
وبين يديه العصا الساحره..
لن تُفجِّرَ في الصخر ماءً..؛
ولن تفلقَ البحرَ في كفِّهِ..؛
وغداً في ربوع الجليلْ..
تقمعُ الثائرينَ..
وتُرفعُ سيفاً..
على عنق الرافضين
البقاءَ الذليلْ..

★ ★ ★

[.. أبصرتُهم جميعاً عند الصخرة..
حول الخليل هالةٌ من نورْ..
وسليمانُ راح يسوِّي ريش هدهدٍ؛
ويداعبُ نملهْ..
وشعيبٌ يفترشُ الحصى البللوريَّ البراقْ..
وموسى يحمل حفنةً من تراب مصرَ..
وشيئاً من فومها وعدسها وبصلها..
والمسيحُ في إكليلٍ من وردٍ يرفلْ..
وهودٌ.. ونوحٌ.. وصالحٌ..
وخلقٌ كثير..

.....

.....

.... وتحدث المصطفى عن حائط المبكي

وأفاض الكليم في عذوبةٍ عن المسجد الاقصى

وقام ابن البتول ليبعثَ ميت الضمائر

حين ذكر القدسْ..

وقامت أعراسٌ كونيةْ..

ودقَّتْ أجراسْ..

وغردت مآذنْ..

وحانت الصلاة..

وتقدّم طه باسماً قلبُه..

مشرقةً عيناه..

وأمَّهم جميعاً...]

.....

.....

....لم يَطُلْ في العراءِ السجودْ

والسكونُ المهيبُ تهتَّك تحت

سنابكِ خيل الجنودْ..

وابتهالُ القلوب طوته الرياحْ..

والذئابُ تقطَّر من شدقيها

الدمُ المستباحْ

والكواسرُ تقتاتُ؛ والأغربةْ

حلَّقتْ تتناقرُ...

ريعَ الوجودْ..

والسماءُ استدارت لتجهش..؛

والشمسُ من هول ما أبصرتْ وجهُها

الذهبيُّ تجعَّدَ..

وأنطفأتْ في خمودْ

★ ★ ★

(ت)

تسحبُ الأرضُ أشلاءنا فوق عورتها

المستباحة ستراً.. غطاءً.. تحاذبه البلداءُ..

الذين يبيعون شوك المِحَنْ..

والذين اذا ركدت هبواتُ المعارك

يستخلصون الوطنْ

مِزْقَةً من سنابكِ خيل العدو....؛

يحلّون منها الصدورَ.. مناديلَ تزهو بأكمامهم

والمعاطفِ والستراتِ الأنيقهْ..

أو تكون رباطاً لتزهو به العنقُ

الشامخهْ..

في مهرجانِ انتقاءِ الجميلاتِ؛ والزهرِ

أو في معارضِ ذكر السلالاتِ من عظماءِ الكلاب

ذوي الأسراتِ العريقهْ..

آهِ يا بلداً ألقمت ناهديها الفِتنْ...

من أقاصي الهموم تجيئين حاملةً في

يديكِ إناءً به الماءُ للظامئ القلبِ؛ والزادُ

للعاشقِ الصبِّ..؛ حين انكفأتُ عليه..

وجدتُ الدماءْ..

قلتِ: فلنشرب الآنَ نخبَ المحبةِ..

قلتُ: وهل هذه الخمر؟

قلتِ: مضى العاشقون.. وهذي

بقاياهمو.. فَلْتَعُبَّ.. غداً أمرُ.. واليوم

خمرٌ..؛ وحين هممتُ.. تلألأ في الكأس ظلٌّ..

وأبصرتُ في قاعه يطفرُ الشهداءْ

أنتِ رافلةٌ في ثياب التبرج .. خضراءَ

تسعين بين الدِمَنْ..

ها أنتِ كالريح عبر حياتي تَمرِّين..؛

فوقي تُهيلينَ بعض التراب.. وبعض الدموع

إذا التفتَ القلبُ منكِ!!.... وتمضين..

هل كنتِ نوعاً رديئاً من العشق أطعمته القلبَ

ام كنتِ عاصفةً تمخرين الهدوءَ.. السكينةَ..؟

هل كنتِ صقراً مخالبه تقتضي الروحَ..

(أبصرتُه

في غموض الملامح طيراً كسيراً.. فأدفأته في

الحنايا... فأورثني حزنه والشجنْ..)
أنت في شرفةِ الشرق تنتظرين عبورَ
السفائن.. تستنشقين عطورَ القوافل؛..
أو ترقبين مُشاةَ الأساطيل يأتون بالوردِ
والعلب
المزدهاة (.. وحول الخصور الخناجرُ.. لا
تبصرين!!...)
.. وقد تُسدلين الغدائرَ..؛ قد ترسلين
الضفائر حبلاً لمن يتسلقُ عمركِ.. يغتالُ
فيكِ النضارةَ..
أو ينفثُ الدود..
طيَ البدنْ..
إنني العاشقُ المتوهجُ؛ عمري قرونٌ من
العشق...؛ أكسرُ قيثارةَ الصبر والغزل
الرغويَ..؛ وأمتشقُ السيفَ...
أرقبُ بابك..
أحميكِ..
أُسجنُ.. أُجرحُ.. أُصرعُ
يلقفني في ثراكِ الكفنْ

★ ★ ★

(و)

ولي وطنٌ آليتُ ألا أبيعه
وألا أرى غيري له- الدهر- مالكاً

.....

.....

كان ابنُ الروميُ يتمتمُ «لي وطنٌ»
منحدراً من ناحية الكرخ الى بغدادْ..
يحمل شكواه إلى باب خليفته الراقدِ
بين نهود جواريه وعزفِ الأعوادْ
يمهرها بالشوق الجارفِ..
مترقرقةً فيها الذكرى النازفةُ..
وأصواتُ الأولادْ
يتذكرُ لهوَ الصبيةِ؛ والعشقَ الأولَ؛
يزفرُ آهاً..
يبكي الأيام الغاربةَ..
(فارتجف وحمحم بالأشواقِ جوادْ..)
وتسلّل صوتُ معلمه الواهن بالكلماتِ
الأولى
«ومن لم يذُد عن حوضه بسلاحه
/يُهدَّمْ..»
فتحسَّسَ قوساً..
وتفقّدَ رمحاً..
وامتشق السيفَ.. وعادْ..

(أ)

البراكين لا تستقرُ عليها الوسائدُ..؛
هم ينقشون على الماءِ أحلامهمْ؛
يبتنونَ من الوهمِ أيامَهم؛
يحدّثون البحارَ..؛ وحين تثورُ
الزلازلُ لا شيءٍ يبقى سوى قبضةِ الشعبِ
حول الرقابْ
وانطلاقِ الأعاصيرِ من رئةِ المستكين
وفي نبراتِ جموعِ الغِضابْ
والبراكينُ تحترف الصمتَ.. لكنها لا تموتُ..
وتعرف عن قشرة الأرض ما يجهلُ
العلماءُ الأساطينُ والسادةُ الخبراءُ؛
وتعرفُ ميقاتَ تفجير أحلامها؛
وكيف يتم التزواجُ بين العواصفِ
والنارِ؛
في مهوجان
تقوم على جانبيه الحِرابْ
إذن.. فيم يبتسم الحالمون بقهر الشعوب!؟
وكيف غفتْ فوق حُلم الغنيمةِ
عينُ الذئابْ؟!

★ ★ ★

(ل)

للرياحِ تقاليدُها..
فهي لا تقلعُ العُشبَ..
لكنها
تستثيرُ ضِخامَ الشجرْ
والحكوماتُ كالهرَّةِ الجاحدهْ..
تنهشُ أبناءها الكادحين العجافَ..؛
وتلعقُ فروَ السمانِ..؛
تدلّلهم..؛

يتخمون.. وينكفئون الى المائدة..
والظهورُ التي يحفرُ السوطُ فيها عتيَّ الصورْ
حين تضجرُ..
أو تستقيمُ يندّدُ سيفٌ
وشرطيٌّ يتلو عليها قوانينها
الجامدَهْ..

آهِ..
هل أنتِ أمي التي علمتني أثورُ..
وأهتف صبحاً.. مساءً..
بلادي.. بلادي.. بلادي
.... ويعزفُ فيها النشيدُ.. وينزف فيَّ النشيجُ
ومنتصباً أستديرُ إذا دقَّ فيها السلامُ؛
أأنتِ بلادي التي جبلتني منذ الصغرْ.؟!
أنتِ أرجوحةُ المهدِ..
والحلمَ كنتِ...
وأنتِ الوسادةُ والشوكُ؛ والبسمةُ
المستضاءةُ في الشرفاتِ، حفيفَ
السنابل كنتِ..؛
حوارَ المناجلِ والزرعِ..؛
أنتِ الأقاصيصُ [والنخل فينا يطوّحُ
أشباحهُ] والعيونُ الخجولةُ

أنتِ.. وحجلةُ طفلٍ على ساحة
الدارِ..؛ والجدةُ القاعدهْ

أنـــتِ.. والجرسُ المتطايرُ في الأفــق
للدرسِ..؛
والحبُ في مستهلِّ العمرْ..
أنتِ.. أنتِ.. ولستِ الجرائدْ
لستِ فاكهةً تملأين الصحافَ التي
ازّينتْ في صدورِ الموائدْ
يحتفي السادةُ المتخمون بها..
والكروشُ التي داعبتها النكاتُ
لتهتزَّ..
بالبشرةِ الخامده
أنتِ عاشقتي التي تتوهجُ حلماً
ولستُ إلى الحلم منتمياً إن توّجته
الزهورُ.. (ترى ينبضُ القلبُ
بين القبورِ؟!
وهل يورقُ الزهرُ بين الصقيع ؟!)..
اخرجي الآن من جسدي...؛
واملأيني براكينَ تصبغُ وجهَ السماءِ..؛
وتطلقُ أحصنةَ الشفقِ الدمويِّ..؛
يكونُ الصهيلُ نداءَ الغدِ المستفزِّ
بدفعِ السواعدْ..
أخرجي الآن من جسدي طفلةً
وانتصبي مارداً
يجذبُ الشمسَ.. يقذفها
في العيون الرواقدْ
في القلوب الخوامدْ!!

القاهرة